الإصلاح الإنجيليُّ.. المفهوم والتاريخ

الدكتور القس نصر الله زكريا

يحتفل الإنجيليُّون حول العالم كل عامٍ، بذكرى حركة الإصلاح الإنجيلي والتي يؤرخ لانطلاقها رسميًّا عشيّة يوم عيد جميع القديسين الموافق الأربعاء 31 أكتوبر 1517، حيث علَّق الراهب الأوغسطينيّ مارتن لوثر على باب كاتدرائيّة جميع القديسين في جوتينبرج، قائمة بخمسةٍ وتسعين اعتراضًا على ممارسات الكنيسة الرومانيّة الكاثوليكيّة، والتي رأى أنها الخاطئة، كان على رأس هذه الاعتراضات ما عُرِفَ بـ"صكوك الغفران"، و"ذخائر القديسين"، وقد تُرجمت هذه القائمة بما احتوته من اعتراضات إلى الألمانية -لغة الشعب آنذاك- وطُبِعت ووزِّعت على نطاقٍ واسع، وفي غضون شهرين انتشرت هذه أطروحة لوثر وبلغت جميع أنحاء أوروبا، إيذانًا بنهاية العصور الوسطى، وانطلاقة عصر النهضة الدينيّة والعلميّة والصناعيّة الذي غيَّر تاريخ أوروبا والعالم.

الإصلاح.. المعنى والمفهوم

يأتي جذر كلمة "**الإصلاح**" من الكلمة اللاتينيّة "*Repairare*"، والتي تعني العودة إلى المسار الصحيح، أو إعادة التشكيل، ويُعبِّر فعل "**الإصلاح**"، عن تحسين مقصود في الشكل أو الحالة القائمة للمؤسسات أو الممارسات وما إلى ذلك؛ ويهدف إلى إحداث تغيير لافت للأفضل في الشؤون الاجتماعيّة أو السياسيّة أو الدينيّة. (القاموس البريطاني، الإنترنت). وكثيرًا ما يُشير "الإصلاح"، إلى البدء من جديد لتغيير المرء طريقه إلى الأفضل ليُصبح شخصًا جديدًا، (توماس هيوز، أكسفورد، 1861، الإنترنت). وللمفارقة، فإنَّ المعنى الحرفي للإصلاح يقف على النقيض من الفهم المعاصر للكلمة، ففي حين يُظهِرُ المعنى الحرفي للكلمة ارتباطًا وثيقًا بالعودة إلى الأصول والبدايات؛ فإنَّ المفهوم المُعاصر للكلمة ينحو نحو الحداثة، والتجديد والتغيير إلى الأفضل، وأصبح من الطبيعي أن يُنظر إلى الإصلاح على أنَّه مطلب للتكيّف مع الحداثة؛ دون التخلي عن الجذور والأصول. يرتبط هذا الجانب ارتباطًا وثيقًا بحقيقةِ أنَّ الإصلاح -على عكس معناه الحرفي- هو مفهوم مجازي. ومن السهل ملاحظة أنَّ "الإصلاح" أصبح يُستخدم تقريبًا كاستعارة

عامة لبناء بعض الاستعارات المفاهيميّة الفعالة المستَخدَمة في الحجة: الإصلاح هو صراع، الإصلاح طريقة للعيش، الإصلاح علاج، وفي كل هذه الاستعارات، يتم توجيه الإصلاح دائمًا نحو الإيجابيّة، والتطلع دائمًا إلى الأمام؛ إنه نوعٌ من الكرازة لأجل مستقبلٍ أفضل (C. Frevel، Tradition of reform as reform of tradition: some considerations on the relation of religion and reform، 2021، الإنترنت). ويَظلُّ المعنى الأكثر شيوعًا، عندما تتردد أو تُستخدمُ كلمة "**الإصلاح**"، تُشيرُ دائمًا إلى الأفكار والأنشطة الدينيّة التي بدأت إرهاصاتها في أوروبا خلال العصور الوسطى، وخاصةً في القرن السادس عشر، لمحاولة تغيير وتحسين الأحوال الدينيّة وتنقية العقيدة والعبادة المسيحيّة من الشوائب التي كانت تُمارسها الكنيسة الرومانيّة، آنذاك، والعودة ثانيةً إلى الكتاب المُقدس، وهو ما أدى إلى نشأة الكنائس الإنجيليّة اللوثرية والمُصلحة.

الإصلاح الديني.. التاريخ والتأريخ

مع أنَّ الإصلاح الديني انطوى على كثير من المحطات التاريخيّة، منها على سبيل المثال: الإصلاحات البوذية لشرح وتوضيح تعاليم بوذا 300 ق.م؛ انعقاد مجمع نيقيّة المسكوني سنة 325م، لتوضيح عقيدة الثالوث؛ حركة المُعتزلة في القرنين الثامن والعاشر؛ الإصلاح الإنجيلي 1517م؛ الإصلاح الكاثوليكي المُضاد وانعقاد مجمع ترينت 1545م؛ المدارس النقديّة التاريخيّة في القرنين التاسع عشر والعشرين؛ المجمع الفاتيكاني الثاني للكنيسة الكاثوليكيّة 1962-1965م. إلَّا أنَّ استخدام مصطلح "**الإصلاح**" تاريخيًّا، يبقى أكثر خصوصيّة وحصريّة في حركة الإصلاح الإنجيلي التي انطلقت فعالياتها في القرن السادس عشر بقيادة مارتن لوثر وجون كالفن وآخرين.

الإصلاح الإنجيلي.. الدعاوى والأسباب

مرَّ بنا أنَّ أحد معاني "**الإصلاح**"، هو العودة إلى النموذج الأول، وتصحيح وتقويم وتنقيّة النموذج الحالي ليُشابه جذوره، ويُعبِّر عن حاضره، ويستشرف مستقبله، وهذا ما حدث في كنيسة العصور الوسطى، فقد ابتعدت عن الكنيسة الأولى الفتيّة العفيّة، والتي استطاع حفنة من تلاميذ المسيح أن يفتنوا المسكونة

كُلَّها (أع 17: 6)، ولم يثنهم الاضطهاد عن إيمانهم، بل زادهم قوةً وثباتًا في الإيمان، والذين أُجبروا على ترك بيوتهم وأوطانهم كانوا يحملون معهم إيمانهم حيثما رحلوا وحيثما حلّوا، حتى أنَّ الكتاب المقدس يُسجِل أنَّ «الَّذِينَ تَشَتَّتُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ» (أع 8: 4)، وقد سجَّل الروح القدس أنَّهم «فَتَنُوا الْمَسْكُونَةَ» (أع 17: 6).

وقد استمرت الكنيسة الوليدة، وأعضاؤها من المؤمنين يعانون أشد أنواع الاضطهاد والتعذيب، ورُغمًا عن ذلك كانت الكنيسة تنمو وتزداد قوةً وعددًا كل يومٍ، فمن جهةٍ، حيث «كَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ» (أعمال 2: 47)، ومن جهة أخرى، كانت الكنيسة تُثبتُ نقاء إيمانها، وتؤكد على حياة الشركة بين أعضائها، لم يكن للمؤمنين الجدد أيَّة أسبابٍ أو إغراءاتٍ تجعلهم يتركون وثنيتهم وينضمون لكنيسة المسيح سوى الإيمان الحقيقي والحي بشخص وعمل وخلاص المسيح.

انتشرت الكنيسة المسيحيّة إلى ربوع الأرض، وأصبح لها خمسة مراكز أو كراسي قياديّة، فهناك الكرسي الأورشليمي ومقره أورشليم، والبطرسي ومقره روما، والأنطاكي ومقره أنطاكيّة، والمرقسي ومقره الإسكندريّة، وأخيرًا القسطنطيني ومقره القسطنطينيّة، لكنَّ الكنيسة استمرت واحدة موحدة، وقد استمر الحال هكذا حتى عام 312م، حيث زعم الإمبراطور قسطنطين *Constantine* بأنَّه اعتنق المسيحيّة، وبعده بنحو 70 عامًا، أصبحت المسيحية الدين الرسمي للإمبراطوريَّة الرومانيَّة، وذلك خلال حكم ثيودوس *Theodosius*. وبحلول عام 400م، أصبحت كلمة روماني أو مسيحي تحمل نفس المعنى.

وبعدما أصبحت المسيحيّة الديانة الرسميّة للدولة الرومانيّة، تغيَّر شكل الكنيسة، وأصبحت العبادة تميل إلى الطقسيّة، واتجهت الكنائس للعمارة باهظة الثمن، ودخلت الأيقونات والجداريات لتُشكِّل جزءًا ملموسًا من العبادة الكنسيّة، وفيما بعد تم تقديس البشر وخلع هالات القداسة على مَن رحل منهم، وكثير من الأشياء التي أضيفت إلى بساطة عبادة الكنيسة الأولى (القس نصر الله زكريا. روَّاد الإصلاح الإنجيلي. 2017، ص 10). وقد تعددت الدعاوى والأسباب التي من أجلها كانت الحاجة لثورة إصلاحيّة كبرى، ومنها:

1- **طغيان وفساد البابويّة،** لقد طغى سلطان البابوات على كل سلطة دينيّة أو مدنيّة، للدرجة التي وصف فيها البابا إنوسنت الثالث «*III Innocent*»، نفسه وبابوات الكنيسة قائلًا إنَّه: «ممسوح من الرب، إله فرعون، وسيط بين الله والإنسان، أدنى من الله، لكنه أعلى من الإنسان، يُحاكِم الجميع ولا يحاكمه أحد»، كما أعلن البابا بونيفاس الثامن «*VIII Boniface*»، أنَّه «لا بد وأن يخضع للبابا كلُّ مخلوق بشري يريد الخلاص». ومع تنامي وازدياد ثروة البابا ورجال الإكليروس، زاد الانغماس في حياة الترف والمجون، حتى أنَّ بعض البابوات والإكليروس كان لهم أطفال غير شرعيين، و ظهر في القرن العاشر اتجاه قوي ينادي بضرورة زواج رجال الدين حتى يتجنبوا مثل هذا الفساد الأخلاقي، ويمكنهم توريث أبنائهم كل هذه الثروات، بشكلٍ شرعي.

2- **انتشار ظاهرة السيمونيّة،** وهي المُتاجرة بموهبة الله في الكنيسة، ولاسيّما في الرسامات الكهنوتية عن غير استحقاق، وذلك عن طريق الرشوة، وانتشرت السيمونيّة وسط الإكليروس في تلك العصور، حتى أنَّ مؤرخًا يُدعى توماس ماينر، سجَّل شهادته عن هذه الفترة قائلًا: «إن الشيطان قد أدخل كل النبلاء إلى دائرة الكهنوت، وأجلسهم على كراسي الأساقفة».

3- **صكوك الغفران،** كان نتيجة احتياج الكنيسة للأموال، لتعويض خسائرها في قيادة الحروب الصليبيّة من جهة، وللنهضة الفنيّة في بناء وتعمير وزخرفة الكاتدرائيات من جهة أخرى، أن تفتق ذهن القيادات الدينيّة وعلى رأسها البابا سيكستوس الرابع *Sixtus IV* (1471-1484)، ليدَّعي أن هذه الصكوك تمنح رجاءً وغفرانًا للموتى، في مقابل ما يدفعه أقرباؤهم من أموال يشترون بها تلك الصكوك، (Patrick, James A. *Renaissance and Reformation*. 2007. p. 1231). وقد كان مندوبو البابا يُنادون بأنَّه لا توجد خطيّة مهما عظمت لا تستطيع صكوك الغفران التكفير عنها ومحوها. كما كانوا يقولون: «إن مفعول الصكوك لا يتوقف عند الأحياء فقط، بل يتناول الأموات أيضًا»، وكانوا يرددون قائلين: «إنَّه في اللحظة التي ترن فيها

نقودكم في قاع الصندوق تنطلق النفوس من المطهر وتطير حرة إلى السماء، إن الرب إلهنا لا يملك فيما بعد، بل سلَّم كل السلطان للبابا». وهي الأقوال التي أثارت حفيظة المُصلح مارتن لوثر متسائلًا: «أغفران الله يُباع ويُشترى؟ أهذا ما تُعلِّم به الكنيسة؟ أهذا هو تعليم الكتاب المقدس؟» وقد كانت قضية صكوك الغفران من أهم الاعتراضات التي كتبها لوثر في أطروحاته التي علَّقها على باب كاتدرائية ويتنبرج، ومنها كانت صيحة الإصلاح التي دوت في تاريخ الكنيسة. (القس نصر الله زكريا، ص 19-20).

الإصلاح الإنجيلي.. رجالٌ وأبطال

إنَّ اللهَ الذي "لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ بِلاَ شَاهِدٍ" (أعمال 14: 17)؛ أقام لنفسه في كل زمانٍ شاهدًا وكارزًا بالحق الكتابي كما أعلنه الروح القدس، ومع بدايات الانقسام الكبير بين الكنيسة في الشرق والغرب، وظهور التعاليم الغريبة عن كلمة الله المقدسة، وقف رجال الله الأمناء ينادون بالحق، حتى وإن أُزهِقت أرواحهم على يدِ مَن كان يجب عليهم أن يكونوا في الصفوف الأولى للشهادة والكرازة. والجدير بالذكر أنَّ لوثر لم يكن أول المُصلحين؛ فقد سبقته أجيالٌ وأجيال من رجال الله الأمناء الذين وقفوا في الثغر وقدموا حياتهم لقاء إعلان تصحيح مسار الكنيسة والعودة به إلى الأصول والجذور الكتابيّة، ويُمكن تبين ثلاث مراحل مرَّ بها الإصلاح الإنجيلي في تاريخ الكنيسة وصولًا لانطلاقه ثورة شاملة غيَّرت الكنيسة والتاريخ، وكان لكل مرحلة رجالها وأبطالها المُصلحون:

أولًا: مرحلة الروَّاد الأوائل ومحاولات إصلاحيّة

1- **كلوديوس التوراني** *Claudius of Turin* (810- 827)، الذي كان يعمل مفسرًا للكتب في البلاط الملكي الإسباني، وقد رقاه الإمبراطور عام 814م، ليكون أسقفًا على توران، وعندما وصلها وبدأ خدمته فيها، وجد أنَّ الكنائس ممتلئة بالصور والأيقونات، ومزخرفة بالأزهار والأكاليل، فأمر في الحال بنزع كل هذه المظاهر والصور بما فيها الصلبان، لقد

كان كلوديوس صوتًا إصلاحيًّا متقدمًا بقرون على حركة الإصلاح الإنجيلي في القرن السادس عشر، لكنَّه كان مدافعًا عن واحدٍ من مبادئ الإصلاح الشهيرة، هو «**مجد الله وحده**».

2- **جيرارد الفرنسي**، حيث أسس حركة إصلاحيّة، وكنيسة صغيرة بالقرب من نامور في منطقة اللورين غربي فرنسا عام 914م، وأُلحق بها ديرًا ذا نظامٍ خاص، ومع أن هذه الحركة ظلَّت محليّة، إلا أنَّها هدفت إلى دعوة أوروبا إلى المسيحيّة، وتطهير حياة رجال الإكليروس الشخصيّة من الخطايا التي كانوا مُستَعبَدين لها، وقد بدأ هؤلاء الرهبان المُصلحون تنفيذ برنامجهم بدعمٍ من البابا ليو التاسع، ومن بعده بعض الباباوات المصلحين وعلى رأسهم البابا غريغوريوس السابع *Gregory VII*.

3- **الكاثريون** *The Cathari*، ومعنى الكلمة «**الأطهار**»، ويعتقد البعض أنَّ هذه الجماعة امتداد لعصر الرسل حيث توارث أعضاؤها الإيمان ومبادئ الحياة المسيحيّة الطاهرة، وقد شهد عنهم القديس برنارد الذي عاصرهم وعرف عظمة ونقاء حياتهم، مع أنَّه قاومهم ظنًّا منه أنهم أعداء البابا، فقال: «إن سألت عن إيمانهم فليس هناك ما يمكن أن يكون أشد مسيحيّة، وإن لاحظت سلوكهم فليس هناك ما يمكن أن يكون أكثر نقاوة، ما يقولونه بالفم يحققونه بالعمل، فترى الواحد منهم لا ينقطع عن الكنيسة، يُكرِمون الشيوخ، يقدمون عطايا، يداومون على الاعتراف والشركة، أما من حيث الحياة والسلوك فلا يغشون إنسانًا، ولا يشُون بأحدٍ، ولا يفعلون الضرر بغيرهم، يصومون كثيرًا، ولا يأكلون خبز الكسل، بل يشتغلون وبأيديهم يكسب قوتهم».

4- **بطرس فالدو** *Peter Waldo*، بطرس فالدو، مؤسس الفالدينيّة، كان تاجًرا ومن وجهاء مدينة «ليون» الفرنسيّة، وذات يوم أثناء حضوره لاجتماع مجلس المدينة، حدث أن توفي أحد أصدقائه فجأة، فتأثر بهذا الحدث جدًّا، وراح يفكر ويتساءل لربما انتقل هكذا فجأة، فإلى أين سيكون مصيره؟ وقد باع ممتلكاته وبدأ يحيا حياة الفقر الاختياري ولأنه كان يريد أن يعيش الإنجيل عيَّن اثنين ليترجما له الكتاب المقدس إلى اللغة المتداولة، وكان هذا من بدايات ترجمات الكتاب المقدس، وكان فالدو يُشجع العمل الكرازي واتخذ من أسلوب المسيح نموذجًا، فكان

يُرسل أتباعه اثنين اثنين للتبشير والخدمة، لابسين ثيابًا بسيطة، معتمدين في معيشتهم على عطايا سامعيهم. وقد تميَّز الفالدنيون بأن جعلوا الكتاب المقدس مركزًا لحياتهم، واتخذوا من أسلوب المسيح الكرازي نموذجًا لهم، وإذ حرمهم رئيس أساقفة ليون، ردد فالدو، قول بطرس الرسول: «يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ» (أعمال 5: 29)، وقد عانى الفالدنيون كثيرًا، ولكنهم لم ينكروا إيمانهم، وأسسوا كنيسة في قلب روما، مازالت شاهدة عن إيمانهم، وقد ذهب إليهم البابا فرنسيس معتذرًا عما لحق بهم من اضطهادٍ في العصور الوسطى.

5- **أخويّة الحياة المشتركة،** مع انطلاقة القرن الرابع عشر والخامس عشر، بدأت تنتشر الصوفيّة عند بعض المفكرين، ومنهم «إيكهارت *Eckhart*» في ألمانيا، وجيرهارد جروت *Gerhard Groot*، في هولندا، وقد أكدا على أهميّة الحياة التكريسيّة الداخليّة، وأنَّ الله يولد داخل القلوب، وقد كان من مساهمات أخويّة الحياة المشتركة، ترجمة الكتاب المقدس، والصلوات باللغة الهولنديّة حتى يستطيع الناس العاديون قراءتها، وساعدوا في انتشار المدارس لتعليم جيلٍ جديد تحت شعار «**لمحبة الله وحده**».

ثانيًا: إرهاصات الإصلاح الإنجيلي وقيادات فاعلة

أعقب هؤلاء المُصلحين جيلٌ آخر، فاعل ومؤثر وقد مهَّد تمامًا لانطلاق ثورة الإصلاح الإنجيلي، وكان على رأس هذه المرحلة:

1- **جون ويكليف** *John Wyclif*، (1328- 1384)، مُصلِح ولاهوتي ومترجم مسيحي إنجليزي. تخرج في جامعة أكسفورد وعُيِّن أستاذًا فيها، عمل مستشارًا لاهوتيًّا لملك إنجلترا. وكان كاهنًا لكنيسة لترورز، واكتسب شعبية واسعة، إذ كشف حياة الترف التي كان الإكليروس يحبونها وتورطهم في المشكلات السياسيّة التي لا شأن لهم بها، وكانت وسيلته في نقاشه معهم أفكار القديس أوغسطينوس وفلسفته، كما هاجم سلطة البابا، وتعرَّض للضرائب التي كانت تفرضها الكنيسة على الأمراء وذوي النفوذ بدعوى العشور. وقد وعظ مرة قائلًا: «إن الإيمان

بقوة الإنسان في عمل الخلاص هو هرطقة روما العظمى، ومن هذا الخطأ جاء خراب الكنيسة، إن التجديد يأتي من نعمة الله وحدها، وأن الإيمان هو عطيّة الله، إنه يطرح جانبًا كل استحقاق بشري»، وفي هذا يؤكد ويكليف على مبدأين من أهم مبادئ الإصلاح الخمسة، «**النعمة وحدها**» و«**الإيمان وحده**». كما كان من أهم إنجازات ويكليف ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية الدارجة، لغة عامة الشعب. لذا استحق أن يُطلق عليه «كوكب صبح الإصلاح»؛ إذ كان ويكليف مُصلِحًا سابق عصره وزمانه.

2-**جون هس** *John Huss*، (1372- 1415)، مفكر ديني، وفيلسوف ومصلح تشيكي. ولد من أبويين قرويين. تعلَّم في جامعة تشارلز في براغ، وبعد حصوله على درجتي البكالوريوس والماجستير رُسم كاهنًا عام 1401م، وقد صار فيما بعد «أب اعتراف» الملكة صوفيا، كما عُيِّن أستاذًا في الجامعة وواعظًا في كنيستها المسماة بيت لحم. تأثر هس بتعاليم جون ويكليف المصلح الإنجليزي تأثُّرًا واضحًا في أعماله وكتاباته. كان لجون هس تأثير كبير على حركة الإصلاح البروتستانتي وعلى مارتن لوثر نفسه، الذي كتب فيه قائلًا: «إذا اعتُبر مثل هذا الرجل هرطوقيًّا، إذًا لا يمكن أن يُنظر إلى أي إنسان تحت الشمس كمسيحيٍّ حقيقيٍّ». وقد ترك جون هس تأثيرًا في أتباعه الذين آمنوا بأفكاره ومبادئه، وأسسوا فيما بعد الكنيسة المورافيّة، والتي اشتهرت بالعمل المُرسلي، وفي عام 1752م، أرسلت تلك الكنيسة مُرسلًا إلى بلادنا العزيزة "**مِصر**"، هو الدكتور وليم هوكر *Hooker William*، واستمرت خدمة الكنيسة المورافيّة في مصر حتى نهايّة القرن الثامن عشر (القس نصر الله زكريا، ص 32-34).

ثالثًا: زعماء الإصلاح وانطلاق ثورة الإصلاح الكبرى

كان الليل قارَبَ على الانقضاء وانبلاج الفجر، وشروق شمس الإصلاح الإنجيلي، وكانت اللحظة التاريخيّة مناسبة، فقد أعدَّ الله الزمان وأمده بالرجال والتكنولوجيا المناسبة في ذلك الوقت؛ إذ كان لاكتشاف الطباعة صدى مؤثر في حركة الإصلاح. أمَّا اللحظة الفارقة، فكانت يوم علَّق المُصلِح الأشهر

مارتن لوثر أطروحته، التي تلقفها شعبٌ قد فاض به الكيل من ممارسات الكنيسة، ورجال اختبروا نعمة الله في بلدان متفرقة كفرنسا وسويسرا وإيطاليا وغيرها، ومن هؤلاء نذكر:

1- **مارتن لوثر** *Luther Martin*، (1483- 1596)، راهب ألماني، وقسيس، وأستاذ للاهوت، وأحد أهم رجالات الإصلاح الكنسي في أوربا، اعترض على ممارسات الكنيسة الكاثوليكيّة، وقدَّم اعتراضاته للبابا رأسًا وعلق هذه الاعتراضات على باب كاتدرائية وتنبرج عام 1517م، ونتيجة رفض البابا لمناقشة هذه الاعتراضات، طُرِدَ من الكنيسة الكاثوليكيّة، فأسس حركة إصلاحية عمَّت غالبية كنائس أوربا في ذلك الوقت. وكان من أهم الأفكار اللاهوتية التي أطلقها الإصلاح هو مبدأ الخلاص بالنعمة من خلال الإيمان بالمسيح مخلصًا. وأنّ الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد المعصوم من الخطأ فيما يتعلق بالأمور المختصة بالإيمان. وقد أكَّد على أنَّ «**الإيمان بالنعمة وحدها**»، كما اعترض على ما تُعلمه الكنيسة عن ممارسة العشاء الرباني، قائلًا: «إننا لا نخلص لأننا نتناول من العشاء الرباني، بل لأننا خلصنا بالإيمان الذي هو عطيّة الله نتناول من العشاء الرباني». وقد ترجم الكتاب المقدس من اليونانيّة إلى الألمانيّة، ودعا الجميع إلى قراءة وتفسير الكتاب المقدس، وأثرى المكتبة الإنجيليّة بأكثر من 450 كتيبًا، وثلاثة ألاف عظة.

2- **هالدريش زونجلي** *Huldrych Zwingli* (1484- 1531) أحد أهم قادة الإصلاح الكنسي في سويسرا، حيث تخرج في جامعة فيينا وبازل، ورُسم قسًّا، وتأثر بكاتبات إرازموس في الحركة الإنسانية، ولقد صاغ زونجلي أهم المبادئ التي قامت عليها حركته الإصلاحية في رسالتين هما: "الدين الحقيقي والدين الزائف" عام 1525؛ "النظام" عام 1530. اعتقد زونجلي بأنَّ العشاء الرباني ليس أكلًا فعليًّا لجسد المسيح، ولكنه رمز لاتحاد

الروح بالرب والمؤمن بالجماعة المسيحية، وكان يُقدِّم الخبز والنبيذ معًا، مرة كل ثلاثة أشهر.

3- **جون كالفن** *John Calvin*، (1509- 1564)، وقد ترعرع «كالفن» في وسط كاثوليكي لكنه تعرَّف وتأثر مبكرًا بتعاليم المُصلحين «لوثر» و«زونجلي»، وكان له أصدقاء كُثر من البروتستانت، حتى أنَّه كان مواظبًا على حضور اجتماع إنجيلي في باريس. كانت باريس نقطة التحول في حياة «**كالفن**»، حيث بدأت صيحة عقيدة التبرير بالإيمان تُدوِّي هناك بدءًا من عام 1512م، ومن قلب جامعة «السوربون»، كان هناك، جيمس ليفيفر، ووليم فاريل، وابن عمه «أوليفتان»، الذي ترجم الكتاب المقدس إلى الفرنسيّة، والذي نصحه قائلًا: «إن الديانة الصحيحة ليست هي تلك المجموعة من الطقوس والفرائض التي تفرضها الكنيسة على تابعيها، اترك صياحهم قائلين: الآباء، المعلمين، الكنيسة. واصغ للأنبياء والرسل وادرس الكتاب المقدس». ثم كتب كالفن كتاب «**مبادئ الديانة المسيحيّة**»، وصدر في طبعته الأولى عام 1535م، هذا الكتاب الذي رفع «كالفن» إلى مصاف قادة الكنيسة المُصلحة، وقد شهد عن هذا الكتاب، فيليس قائلًا: «كان هذا الكتاب أول أثر لاهوتي أدبي لحركة الإصلاح الفرنسيّة»، وهكذا أصبح «كالفن»، قائدًا لحركة الإصلاح البروتستانتي في فرنسا. وقدَّم كالفن في عام 1541م، دستورًا كنسيًّا يشرح فيه الكثير من الأمور **العقائديّة** مثل العِماد والعشاء الرباني، **والعمليّة** كالزواج وحريّة اختيار شريك الحياة بعيدًا عن إرغام الأهل وتدخلاتهم، كما أكدَّ على المساواة بين الرجل والمرأة، وطوَّر النظام الإداري لإدارة الكنيسة المحليّة، وتكلم عن الرعاة، والمعلمين، والشيوخ، والشمامسة. وقد وصلت جملة مؤلفاته إلى تسعة وخمسين كتابًا مطبوعًا، كما وعظ عددًا غير محدود من العظات الكتابيّة من كلا العهدين.

وتوالى المُصلحون الذين أقامهم الله على إصلاح كنيسته، ومنهم:

مارتِن بُوتسر *Martin Baucer* (1491- 1551)؛ الذي شارك في كتابة العديد من دساتير الكنائس المُصلحة. **جوليوم فاريل** *Guillaume Farel* (1489-1565)؛ ساهم مع كالفن في تحويل مدينة جينيفا إلى "روما البروتستانتية". **جون نوكس** *John Knox* (1514- 1572)، الذي كانت له اليد الطولى في نقل اسكتلندا من الكاثوليكية إلى البروتستانتية؛ **هنريش بولينجر** *Henrich Bullinger* (1504- 1575) نظَّم كنيسة زيورخ[1]، ووحَّد الكنتونات السويسرية، أصدر قانون الإيمان السويسري الأول عام 1536م، وقانون الإيمان السويسري الثاني 1566م، برز كمستشار للكنيسة المُصلِحة عمومًا، وترك عدد هائل من التفاسير والرسائل والعظات، الأمر الذي دفع المتخصصين لاعتباره من أبرع لاهوتيّ عصر الإصلاح.

ختامًا

ما دامت الكنيسة موجودة في هذا العالم، فإنَّ الإصلاح حركة لا، ولن تنتهي، وقد أقام الله الكثير من المُصلحين الذين سبقوا ذلك العصر والذين أتوا بعده، وعمِلوا على بث الروح من جديد في كنيسة المسيح، فهناك سحابة من الشهود نذكر منها: «**جوناثان إدوارد**» (1703- 1758)، و«**جون وسلي**» (1703- 1791)، و«**جورج هوايتفيلد**» (1714- 1770)، و«**تشارلز سبرجن**» (1834- 1892)، و«**كارل بارت**» (1886- 1968)، و«**سي إس لويس**» (1898- 1963)، و«**صموئيل حبيب**» (1928- 1997).

وإذا تأملنا في عصرنا الحالي نجد الكثير من القادة العِظام الذين يعملون عمل الرب بأيدٍ غير مرتخيّة ويقودون الكنيسة حسبما أراد المسيح لكنيسته أن تكون.

إنَّ كنيسة اليوم تدين بالشكر، لله ولروحه القدوس أولًا، وثانيًا لجميع هؤلاء الرواد والقادة وزعماء الإصلاح، الذين حافظوا على الإيمان ونور الإنجيل حتى تكون الكنيسة بحق نورًا يُضيئ للعالم.

فتحيّة لهؤلاء المُصلِحين جميعًا.

---

[1] http://mb-soft.com/believe/tah/helvconf.htm

أهم المراجع:

1. دوبينياه، العلَّامة ميرل. ***تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر***. (بيروت: مكتبة المشعل، 1983، ط3).
2. دياب، د. القس عيسى. ***مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيليّة ولاهوتها***. (بيروت: مدرسة اللاهوت المعمدانية العربية، 2009).
3. ريتشارد، م. هانيولا. ***أبطال الإيمان***. ترجمة إيريني مكرم. (القاهرة: الرابطة الإنجيليّة في الشرق الأوسط، -).
4. زكريا، د. القس نصر الله. ***روَّاد الإصلاح الإنجيلي***. (القاهرة: دار الفكر الإنجيلي للترجمة والنشر والتوزيع، 2017).
5. زكي، الدكتور عزت، ***تاريخ المسيحيّة. المسيحيّة في عصر الإصلاح***. (القاهرة: دار التأليف والنشر الأسقفية، 1980).
6. فتحي، القس رفعت. ***الإصلاح الإنجيلي، حتميّته وتأثيره***. (القاهرة: دار الفكر الإنجيلي للترجمة والنشر والتوزيع، 2017).
7. لوريمر، جون. ***تاريخ الكنيسة،*** الجزء الرابع (ترجمة عزرا مرجان). (القاهرة: دار الثقافة، 1990).
8. ميلر، أندرو. ***مختصر تاريخ الكنيسة***، الجزء الثاني (القاهرة: كنيسة الأخوة، 1972، ط2).

مواقع إلكترونيّة:

1. https//:www.ar.wikipedia.org
2. https://www.britannica.com/event/Dacke-War
3. https://www.mtsu.edu/first-amendment/article/1064/protestant-reformation
4. http://mb-soft.com/believe/tah/helvconf.htm